هل الكافرون ليسوا مِمَّن لا يغفر الله لهم لأنهم ليسوا مشركين

محمد سعد زغلول سالم

الثلاثاء ١١ يوليو ٢٠٢٣

تتابعت فى الآونة الأخيرة أقوالٌ لبعض المحسوبين على طوائف الدُعاة وبعض أساتذة الفقه والعقيدة الإسلامية مفادُها أن المشركين بالله فقط هم مِمَّن لا يغفر الله لهم أما الكفر بالله فهو مشمول فى قوله تعالى (ما دون ذلك) حسب نص الآية الكريمة (إن الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وبذا فإن الكفار يمكن أن يُغفَر لهم مثلما يمكن أن يغفر الله لكل أثِم أو مذنب أو مخطىء أو عاصى أو مرتكب لكبيرة أو صغيرة أو لهناتٍ من اللمَم وغير ذلك مما يرتكبه الإنسان ثم يتوب عنه ويغفره له الله.

وهذا القولُ الذى يتقوله على الله القائلون بهذا الرأى ينم إما عن جهلٍ وغفلةٍ عن مضمون الآية الكريمة أو عن خبثٍ ونفاق يتسق مع تدليسهم وتسويقهم لضلالات بدعَة الديانة الإبراهيمية التى تجمع أصحاب الديانات المختلفة فى بوتقةٍ واحدة إستناداً إلى مصدرها المشترك الذى يُرجعونه إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام رغم أنه كان حنيفاً مسلماً وكان يستكمل بدعوته رسالة الإسلام التى بدأت مع خلق آدم عليه السلام وإنتهت برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم الباقية إلى أن يرثَ اللهُ الأرض وما عليها حين يشاء.

فالكفر بالله أنواع وأصناف عديدة أسوأها هو الشرك به لأن الشرك هو كفرٌ بالوحدانية وهى جوهر الوجود الإلهى الواحد الأحَد الفرد الصَمَد. والشرك بالله يشمل شِرك التعدُّد الذى يجعل مع الله آلهةً أخرى يشاركونه فى الخلق والتقدير والهيمنة والحساب وكل ما إختص الله به ذاتَه من صفات وأفعال. كما يشمل الكفر بقيومية الله التى تعْنى المعرفة الإلهية الكاملة والشاملة والدائمة بكل ما يحدث فى كل هذا الكون وهذا الوجود وهذه الحياة والتقدير الكامل والشامل والدائم لكل ما يحدث لكل موجودات هذا الكون وهذا الوجود وهذه الحياة منذ خلقها الله وإلى أن يشاء لها ما يشاء. والكفر بهذه القيومية هو جوهر عقيدة الشيعة والصوفية حيث يوكِل الشيعة هذه القيومية إلى أئِمتهم ويوكِل الصوفية هذه القيومية إلى غَوثِهم وأقطابهم.

كما أن الكفر بهذه القيومية موجود أيضاً فى جانب من ضلالات المعتزلة الذين يعتقدون بعدم الحاجة إلى هذه القيومية بعد الخلق وهو رأى يتسق مع آراء بعض فلاسفة اليونان القدامى الذين كانوا يعتقدون بوجود خالق للكون ولكنه ليس مسؤولاً عن تقدير حوادثه بعد خلقِه. وربما يكون هذا أحد أسباب إحتفاء المستشرقين والمنافقين وغير المسلمين بالمعتزلة ودَبْج المديح فى تعقلهم وإعتبارهم أئمة الفكر العاقل فى تاريخ الإسلام والتباكى بدموع التماسيح على إنتهاء فكرهِم الضال وهُراءاتهم التافهة حيث أن العقلَ والنقلَ فى الإسلام وجهان لعملةٍ واحدة لا يستقيم ولا يتيسر الوصول للحقيقة بإتباع أحدهما فقط دون الوجه الآخر مهما كانت الإفتراءات على رسوخ هذه الحقيقة فى الفكر الإسلامى الصحيح.

وهناك الكفرُ بالوجود أى إنكار وجود الله إبتداءاً وهو كفر المُلحدين الذين لا يؤمنون بوجود خالق لهذا الوجود والذين أسْلَموا عقولَهم لتُرهات وخرافات نشوء الحياة بمَحْض الصدفة وتطورها بفعل الإنتقاء الطبيعى وبقية هُراءات وخرافات نظرية التطور التى يستندون إليها فى إنكارهم لوجود الله وكفرهم به.

وإضافةً إلى هذه الأصناف الثلاثة من الكفر تتعدد أصنافُ الكفر المذكورة فى القرآن الكريم وتتبايَن الآراء فى تصنيفها لقسمَيْن كبيرين هما الكفر الأكبر المُخرج من الإسلام والموجب للخلود في النار ككفُر الإنكار لحجية السنة النبوية وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو كفر من يسمون أنفسهم بالقرآنيين الذين يلتزمون بالقرآن الكريم فقط دون السنة النبوية القوْلية والفِعْلية حتى وإن كانت صحيحة والكفر الأصغر وهو فى حقيقة أمْره آثامٌ وذنوب ومعاصى تتجلى رحمة الله بمرتكبيه فى صبره عليهم ليتوبوا ويكفروا عنها حتى اللحظات الأخيرة فى حياتهم وتشمل أنواعاً عديدة ككفر الإستكبار وكفر التكذيب وكفر الشك وكفر الإعراض وكفر النفاق وأصنافاً أخرى كثيرة تتباين الآراءُ فى تصنيفها وفى الحكم عليها تبعاً لأحكام القرآن الكريم فى شأنِها.

ولذا فإن القولَ بأن الكفرَ ليس مشمولاً فى معنى الشرك بالله فى مضمون الآية الكريمة (إن الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وأنه مشمول فى معنى (ما دون ذلك) هو قولٌ لا يصدر إلا عن جاهل أو غافل أو عن منافق خبيث يُفسِد على المسلمين عقائدهم ويهيىء لهم سبيلاً للضلال والزيْغ من سبيل الهُدى الذى هداهُم الله إليه إلى سبيل الشيطان وسوء العاقبة والخسران المبين.